كتاب الحث على الطاعات وترك المعاصي
وبيان آفاتها والتحذير من الشيطان

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول

في الحث على الطاعات وترك المعاصي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾. أي: بالإنصاف والإحسان أداء الفرائض ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ صلة الرحم ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ ما قبح من القول والفعل وقال ابن عباس الزنا ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ ما لا يعرف في شريعة ولا سنة ﴿وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ الكبر والظلم.

وقال ابن عيينة العدل استواء السر والعلانية والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريريته ﴿يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1] أي تتعظون وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾.

قال عطاء عن ابن عباس أي: بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[2].

في **الصحيحين** عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يغار وغيرة الله كراهة أن يأتي المرء ما حرم الله عليه»[3].

وروى الدارقطني عنه ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء

(1) سورة النحل، الآية: 90.

(2) سورة التحريم، الآية: 6.

(3) أخرجه البخاري (5/ 2002، رقم 4925)، ومسلم (4/ 2114، رقم 2761).

رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» [1].

وعن أبي بكر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله». قيل: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله» [2].

وقال ﷺ: «**إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك استدراج**» [3]. ثم تلا قوله تعالى ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [4].

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أطاع الله فقد ذكر الله تعالى وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن**» [5].

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وإياكم ومحقرات الذنوب فإنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزهم فإن محقرات الذنوب متى يؤاخذ بها صاحبها تهلكه**» [6].

وقال الفضيل بن عياض: العجب كل العجب لمن عرف الله تعالى ثم عصاه بعد المعرفة.

---

(1) أخرجه الدارقطنى (298/4).

(2) أخرجه الترمذى (4/ 566، رقم 2330).

(3) أخرجه أحمد (4/ 145، رقم 17349)، والطبراني في الكبير (17/ 330، رقم 913)، وفي الأوسط (9/ 110، رقم 9272)، قال الهيثمي (245/10): رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري، وهو ضعيف. والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 128، رقم 4540). وأخرجه أيضًا: الروياني (1/ 195، رقم 260)، والرافعي في التدوين (279/1). قال المناوي (355/1): قال العراقي: إسناده حسن.

(4) سورة الأنعام، الآية: 44.

(5) أخرجه الطبرانى (22/ 154، رقم 413)، والبيهقى فى شعب الإيمان (1/ 452، رقم 687).

(6) أخرجه أحمد (5/ 331، رقم 22860).

وقال أبو سعيد الخدري: إنكم تعملون أعمالا هي أدق عندكم من الشعر كنا نعهدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات.

وكان أحمد بن حرب يقول: يا صاحب الذنوب قد آن لك أن تتوب، يا صاحب الذنوب أنت إذن بالذنب مطلوب، يا صاحب الذنوب أنت بها في النار مسحوب.

وقال عبد الله بن أبي نوح: يا عجبا كل العجب لمن يعصي المحسن بعد معرفته بإحسانه، ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه.

وقال بعض الحكماء: إني لأستحيي من الله أن أعبده رجاء ثواب الجنة، فأكون كالأجير إن أعطي أجره عمل وإلا لم يعمل، ولكنني أعبده لما هو أهله.

وقال بعض الحكماء: ركّب الله تعالى في الملائكة العقل بلا شهوة، وركب في البهائم الشهوة بلا عقل، وركب في بني آدم الشهوة والعقل، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم.

قال بعض العلماء: ليس بيع يوسف إخوته بأعجب من بيعك نفسك بأدنى شهوة، بل بأدنى من ذلك وهو الطمع في الشهوة، وباع يوسف من يعاديه وأنت تبيع نفسك مع محبتك إياها، فما أغفلك وأسوأ حالك.

وقال أبو الليث السمرقندي: مكتوب في التوراة: من يزرع البر يحصد السلام، وفي الإنجيل: من يزرع الشر يحصد الندامة، وفي القرآن: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [1].

وقال لقمان لما حضرته الوفاة: يا بني، كثيرا ما كنت أوصيك إلى هذه الغاية، وإني موصيك بست خصال فيها علم الأولين والآخرين:

(1) سورة النساء، الآية: 123.

أولها : لا تشغل نفسك بالدنيا إلا بقدر ما بقي من عمرك .

الثاني : اعبد ربك بقدر حوائجك إليه .

الثالث : اعمل لآخرتك بقدر ما تريد المقام فيها .

الرابع : أن يكون شغلك في فكاك رقبتك من النار ما لم تظهر لك النجاة منها .

الخامس : لتكن جرأتك على المعاصي بقدر صبرك على عذاب الله تعالى ما لم يظهر النجاء منه .

السادس : إن أردت أن تعصي الله تعالى فاطلب مكانا لا يراك الله عز وجل وملائكته فيه .

وفي الحديث : «**إذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فلينح على نفسه أو ليتجهز إلى النار**» .

قال أبو الفرج ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **روضة المشتاق** : ورد في الأخبار أن العاصي إذا مات مصرا على زلته حشر يوم القيامة على صفته ومعصيته ، فينادي وا سوأتاه وا خجلتاه فيقول له الملك الموكل به : أما هكذا كنت في دنياك تخلو بين يدي مولاك وهو مطلع عليك يشاهدك ويراك؟ أما لك بما قلت في ذلك الوقت وا سوأتاه وا خجلتاه ثم ينادى عليه بين الأشهاد هذا جزاء من قابل مولاه بالإساءة والفساد ولم يستح من الملك الجواد .

❊ ❊ ❊

الباب الثاني

في تقسيم المعاصي

قال الشيخ عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله ـ في طهارة القلوب المعاصي قسمان: ترك فريضة، أو فعل محرم، وأولهما معصية آدم نهي عن أكل الشجرة فأكل، ثم ينقسم إلى ما هو حق الله، وإلى ما هو حق الآدمي، ثم تنقسم من أصولها إلى أربعة: ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية؛ فالربوبية التشبه بأوصاف الرب سبحانه، فإن الرفعة والعظمة والكبرياء والعز والغنى والقهر والاستيلاء صفات الرب سبحانه، فمن تشبه بها من الخلق فتكبر وتجبر وطلب الرفعة والعلو والبقاء والاستيلاء على الخلق فقد نازع الربوبية حقها، والشيطانية التشبه بالشيطان ومن صفاته الحسد والبغي والحيلة والخداع والغش والنفاق والدعوة إلى المعاصي والبدع والضلال، والبهيمية الشره والحرص على قضاء شهوتي البطن والفرج ومنها يتشعب الزنا والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحرام لقضاء الأوطار، والسبعية الغضب والحقد ومنها يتشعب القتل والضرب وإيذاء الخلق، وأول ما يستولي على الإنسان البهيمية فإن كبر وتزايد فهمه دخلت عليه السبعية فإذا قويت فكرته ولم يوفق استعمل عقله في المكر والخداع والصفات الشيطانية ثم يدخل عليه منازعة الربوبية قال الله تعالى «الكبرياء ردائي»[1]. ثم تنقسم الذنوب قسمين بالنظر إلى ضررها وإثمها، فالكبائر تغفر بالتوبة والصغائر تغفر بالصلاة ونحوها كما ورد.

وقد اختلف الناس في حد الكبائر اختلافا كثيرا فذهب بعض العلماء إلى أن كل محرم كبيرة ولكن بعضها أكبر من بعض فإن الصغير والكبير أمر نسبي،

(1) أخرجه أبو داود (4/ 59، رقم 4090)، وابن ماجه (2/ 1397، رقم 4174).

وهذا ضعيف، فإن ظاهر القرآن يدل على أن المعاصي منقسمة قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ (1). وأكثر المفسرين على أن اللمم صغائر الذنوب، وقال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ (2). فالصحيح التقسيم، ثم اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر؛ فقال ابن مسعود: أربع، وقال ابن عمر: سبع، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: تسع. وقيل: إحدى عشرة كبيرة. وقال أبو طالب المكي جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها سبعة عشر أربعة في القلب وهي الشرك بالله والإصرار على معصية الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله، وأربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحلف بها الحالف متعمدا الكذب وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كلام أجرى الله العادة بأنه إذا استعمل ظهر له أثر من الفساد، وثلاث في البطن شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وهو يعلم، واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط، واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة، وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف، وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين، وعقوقهما أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما أو يسألاه حاجة فلا يقضيها وأن يسباه فيضربهما أو يجوعا فلا يطعمهما، واختلف العلماء في حد الكبيرة فقيل كل ما نهى الله عنه في القرآن فهي كبيرة وما نهى عنه الرسول فهي صغيرة وقيل ما توعد الله عليه بالنار فهو كبيرة وما لم يقترن به مع النهي عنه وعيد أو غضب فهي صغيرة وقيل كل ما شرع فيه حد وقيل حد أو كفارة فهو كبيرة وقيل

(1) سورة النجم، الآية: 32.

(2) سورة النساء، الآية: 31.

كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو كبيرة وقيل إن حصرها مبهم ولم يرد بعددها نص وفائدة ذلك تعظيم سائر المعاصي خوفا من الوقوع في كبيرة وقيل أكبر الكبائر معلوم وأصغرها غير معلوم .

❊ ❊ ❊

فصل

قال الشيخ عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله ـ : يقال : ستة أشياء إذا قارنت الصغائر ألحقتها بالكبائر وإذا كانت مع الكبائر عظم وزرها وتزايد أمرها :

الأول : الإصرار وهو العزم على العود إلى مثل الذنب ولذلك قيل لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وليس المراد به استغفار الكذابين باللسان وإنما المراد التوبة والندم والإقلاع والالتجاء إلى الله بالقلب ويقال آفة الإصرار على الصغائر الوقوع في الكبائر وقول لا يقع العبد في كبيرة حتى يتقدمها صغائر كالزنا مثلا لا يتصور من غير تقدم نظر ولمس ونحوه .

الثاني : أن يستصغر الذنب فإنه يكبر إثمه على قدر استصغاره له فإن في تصغير الذنب تصغير أمر الرب وفي تعظيم الذنب تعظيم الرب سبحانه ، وفي الحديث : «**المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره**» . وقال بعضهم : أكبر الذنب قول الإنسان ليت كل ذنب عملته يكون مثل هذا وأوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى كبرياء من واجهت بها . وقال أبو سعيد الخدري : إنكم لتعملون أشياء هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ، وهذا لأنهم كانوا أكثر تعظيما لجلال الله تعالى .

الثالث : السرور بالذنب فإن القلب يسود بقدر الفرح بالذنب ، وروي أن رجلا كان في بني إسرائيل تاب من ذنب وصام سنتين ، ثم سأل بعض الأنبياء يدعو له بالقبول ، فدعا له فأوحى الله عز وجل إليه : لو تشفع بأهل السماوات والأرض ما قبلته ، وحلاوة الذنب في قلبه ومثال المعاصي كمثل من غلبه عدوه

فأوقعه في نار أو ما يخاف الهلاك فيه فينبغي أن يغلب عليه الحزن والأسف ففرحه من غاية الجهل ويقال من فرح بالذنب فهو كالمريض الذي يفرح أن ينكسر إناؤه الذي فيه دواؤه كراهية أن يستعمله لا يرجى شفاؤه.

الرابع: أن يتهاون بمنة الله تعالى عليه من ستره عليه وحلمه عنه وإمهاله حيث لا يعاجله بالعقوبة ويخاف أن يكون ذلك الستر مقتا من الله وإمهالا ليزداد ذنوبا فيأخذه على غرة.

الخامس: إظهار الذنب بأن يفعله مجاهرا، ويتحدث به ويفتخر به ويتمدح، وفي ذلك زيادة جرأة وعدم حرمة وإبطال نعمة، فإن من نعم الله تعالى إظهار الجميل وستر القبيح، وفيه تحريك داعية من علم بذنبه إلى الوقوع في مثله، وفي الخبر «**كل الناس معافى إلا المجاهرين**»[1].

وقال بعضهم: لا تذنب فإن أذنبت فلا تغرن غيرك فتكسب ذنبين قال الله تعالى ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]. وقال بعض السلف: ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية.

السادس: أن يكون المذنب عالما يقتدى به كما ورد في الحديث «**من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء**»[3]. قال الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ﴾[4]. وآثار العمل ما يبقى بعد العمل، وقال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها

(1) أخرجه البخارى (5/ 2254، رقم 5721)، ومسلم (4/ 2291، رقم 2990).

(2) سورة التوبة، الآية: 67.

(3) أخرجه مسلم (4/ 2059، رقم 1017).

(4) سورة يس، الآية: 12.

ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق ، ويقال : العالم كالسفينة إذا غرقت غرق أهلها .

ويروى أن عالما من بني إسرائيل كان على بدعة ثم رجع عنها وعمل في الإصلاح دهرا فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم قل لفلان إن ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته ولكن كيف من أضللت من عبادي وأدخلتهم النار؟ وكما يعظم وزر العالم في السيئات كذلك يعظم أجره في الطاعات .

قال الشيخ عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله ـ وقد روينا في حديث مسند عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**الفقهاء أبناء الرسل ما لم يطلبوا الدنيا ويتبعوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم**» .

❊ ❊ ❊

الباب الثالث

في آفات المعاصي

وهي كثيرة لا تحصى، ونحن نذكر إن شاء الله تعالى ما تيسر منها:

فمنها: ظلمة يجدها العاصي في قلبه حقيقة، فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة.

قال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضا في قلوب الخلق.

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أذنبت كانت نكتة سوداء في قلبه فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذالكم الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[1]»[2].

وأصل الرين الغلبة؛ يقال: رانت الخمر على عقله ترين رينا: إذا غلبت عليه فسكر، ومعنى الآية غلبت على قلوبهم المعاصي، وأحاطت بها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب.

وقال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ: ران على قلوبهم طبع عليها قال

(1) سورة المطففين، الآية: 14.

(2) أخرجه الترمذى (5/ 434، رقم 3334)، والنسائى فى الكبرى (6/ 110، رقم 10251)، وابن ماجه (2/ 1418، رقم 4244).

رسول الله ﷺ: «**إن لله أواني ألا وهي القلب فأقربها إلى الله ما رق وصفا وصلب**»[1]. قال أبو عبد الله الترمذي: الرقة من خشية الله والصفاء للإخوان في حق الله والصلابة في دين الله تعالى.

قال الشيخ عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله تعالى ـ يقال شبه القلوب بالآنية فقلب الكافر إناء منكس مقلوب لا يدخله شيء من الخير وقلب المنافق إناء مكسور إذا ألقي من أعلاه نزل من أسفله وقلب المؤمن إناء صحيح معتدل يلقى فيه الخير فيصل لكن قلوب قوم طاهرة من دنس الزلات والغفلات فما ألقي فيها بقي طاهرا وقلوب قوم فيها دنس قليل يغلب عليه ما يلقى فيها من الطهور وقلوب قوم كثيرة الأدناس يغلب دنسها على ما يلقى فيها وربما امتلأت من الأدناس فلم تسمع شيئا قال الله تعالى في حق المتطهرين ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[2] ذكر العاصين عقوبتي ليرجعوا عن مخالفتي وذكر المطيعين ثواب طاعتي ليزدادوا من خدمتي وذكر عبادي ما صرفت عنهم من بلائي ومنحتهم من عطائي وأعددت لهم من لقائي ليستوفوا أوقاتهم من ثنائي ويقال قسوة القلب إنما تكون لانحرافه عن مراقبة الرب. ويقال: إنما تحصل القسوة من متابعة دواعي الشهوة فإن الشهوة والصفوة لا يجتمعان وأولها يقع في القلب غفلة فإن أيقظه الله تعالى وإلا صارت عزيمة منه فإن صرفها الله تعالى وإلا وقعت معصية فإن أنقذه الله تعالى بالتوبة وإلا وقعت قسوة فإن ألانها الله تعالى وإلا صارت طبعا ورينا قال الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وقال إبراهيم بن أدهم: قلب المؤمن نقي كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشيء إلا أبصره فإذا أذنب ذنبا ألقى الله في قلبه نكتة سوداء فإن تاب محيت وإن عاد إلى

(1) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (97/6) وقال: غريب.

(2) سورة الذاريات، الآية: 55.

المعصية ولم يتب تتابعت النكتة حتى يسود القلب ، فما أقل ما نفع فيه الموعظة .

وقال الحسن : الذنب على الذنب يظلم على القلب حتى يسود .

ويقال : القلب كالكف لا يزال يقبض منه إصبعا بعد إصبع حتى يطبع .

وقال الترمذي حياة القلوب الإيمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الإصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة .

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي**» [1].

وقال عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم ، وإن القلب القاسي بعيد من الله ، ولكن لا تعلمون وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد ولا تنظروا إلى ذنوب الناس كأنكم أرباب فإنما الناس معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية .

وعن ابن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : تلا رسول الله ﷺ ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [2] قلنا : يا رسول الله ، كيف انشراح صدره للإسلام؟ قال : «**إذا دخل النورالقلب انشرح وانفسح**» . قلنا : يا رسول الله ، وما علامة ذلك؟ قال : «**الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت**» [3].

وقال مالك بن دينار : وما ضرب الله عبدا بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع الله منهم الرحمة ؛ قال رسول الله ﷺ : «**من أكل الحلال أربعين يوما نور الله تعالى قلبه وأجرى**

(1) أخرجه الترمذى (4/ 607، رقم 2411) .

(2) سورة الزمر ، الآية : 22.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك 4/ 346.

ينابيع الحكمة من قلبه» [1].

وقال بعضهم : من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه ، وهو تأويل قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ .

ومن آفات المعاصي : حرمان العلم ؛ فإن العلم نور يقذف في النور والمعصية تطفئه ، ولما جلس الشافعي بين يدي مالك ـ رَحِمَهُ الله تعالى ـ وقرأ عليه أعجبه ما رأى من فطنته وذكائه فقال إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية .

ومنها : حرمان الرزق بالذنب يصيبه . وفي المسند عن ثوبان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ : «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**» [2].

وكما أن تقوي الله مجلبة للفقر ؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [3]. فترك التقوى مجلبة للفقر .

ومنها : وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله تعالى .

ومنها : وحشة تحصل بينه وبين الناس قال بعض السلف إني لأعصي الله تعالى فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي .

ومنها : تعسير أمره عليه فكما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسرا فمن عطل التقوى جعل له من أمره عسرا .

ومنها : أنها تنقص العمر وتمحق بركته قال ﷺ : «لا يرد القدر إلا الدعاء

(1) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب .

(2) أخرجه ابن ماجه (1334/2 رقم 4022) .

(3) سورة الطلاق ، الآية : 3.

ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1] فكما أن البر يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر وقد اختلف في هذا فقيل النقصان ذهاب بركة العمر وقيل تنقصه حقيقة كنقص الرزق .

ومنها : أنها تزرع أمثالها قال بعض السلف إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها قال الشيخ الإمام عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله ـ أول عقوبة الذنب ظلمة تقع في القلب وغفلة تستولي عليه حتى تسقط عنه حرمة أمر الله ونهيه فينجر إلى ذنب أعظم منه وقال مثال الذي يخوض في الطين وعليه ثياب نظاف فهو يجمع ثيابه ويحفظها فإذا وقع في الطين مرة فأصاب أطراف ثيابه وأهملها بعد ذلك وخاض فيها ولم يحفظها ولهذا قيل الطاعة أول ثواب الطاعة والذنب أول عقوبة الذنب .

ومنها : أن شؤمها يعود على مرتكبها ؛ قال أبو هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ إن الحبارى[2] لتموت في وكرها من ظلم الظالم[3].

وقال مجاهد : إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وتقول : هذا بشؤم معصية ابن آدم[4].

وقال عكرمة : دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا المطر بذنوب بني آدم[5].

---

(1) أخرجه ابن أبى شيبة (6/ 109، رقم 29867) ، والطبرانى (2/ 100، رقم 1442) ، والحاكم (1/670 رقم 1814) ، وأحمد (5/ 280، رقم 22466) .

(2) الحبارى : طائر طويل العنق رمادي اللون على شكل الإوزة في منقاره طول الذكر والأنثى والجمع فيه سواء . الوسيط (ح ب ر) .

(3) روح المعاني 10/ 208.

(4) أخرجه الطبري في تفسيره 3/ 255.

(5) أخرجه الطبري في تفسيره 3/ 255.

وعن ابن مسعود يرفعه : «**ليس سنة بأمطر من أخرى ، وكأن الله قد قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة كيل معلوم ، فإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم ، وإذا عصوا جميعا صرفه الله عنهم إلى الفيافي**» .

قال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ : ما عام بأمطر من عام ، ولكن الله يصرفه في الأرض ، وقرأ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾[1] الآية .

روي مرفوعا : «**ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء**» [2].

ومنها : أنها تذل فاعلها ؛ فإن العز في طاعة الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[3]. أي : فليطلبها بطاعة الله .

وكان من دعاء السلف : اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك .

وقال علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة بغير العشيرة ، فليتحول من ذل المعصية إلى عز طاعته ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

ومنها : أنها تدخل العبد تحت لعنة الله ورسوله ؛ فإن الله تعالى لعن من أفسد في الأرض وقطع رحمه وآذاه وآذى رسوله ، ولعن من كتم ما أنزل من البينات والهدى ، ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة ، ولعن رسول الله ﷺ على معاصٍ وغيرها أكبر منها ، فهي أولى بالدخول ، فلعن الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها

(1) سورة الفرقان ، الآية : 50.

(2) أخرجه الشافعي (82/1) .

(3) سورة فاطر ، الآية : 10.

وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه، ولعن المتخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، ولعن المصورين، ولعن من عمل عمل قوم لوط، ولعن من سب أباه وسب أمه، ولعن من أتى بهيمة، ولعن من أفسد امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده، ولعن من أتى امرأة في دبرها، ولعن من سب أصحابه، ولعن الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة التي تلبس لبسة الرجل، ولعن الراشي والمرتشي والرائش هو الواسطة في الرشوة.

ومنها: حرمان دعاء رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة؛ فإن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾[1]. فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسول الله الذين لا سبيل لهم غيرهما، فلا يطمع غير هؤلاء بإجابة هذه الدعوة إن لم يتصف بصفات المدعو له ومنها أنها تحدث في الأرض أنواعا من الفساد، وفي المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن.

قال مجاهد: إذا ولي الظالم وسعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل، ثم قرأ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[2] الآية. ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر.

قال قتادة: أما البر فأهل العمود، وأما البحر فأهل القرى والريف.

ومنها: أنه يحصل بسببها الزلازل وغيرها من أنواع العذاب؛ ففي **مسند أحمد** عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده**». فقلت: يا رسول الله، أما فيهم يومئذ

(1) سورة غافر، الآيات: 7 ـ 9.

(2) سورة الروم، الآية: 41.

أناس صالحون؟ قال: «بلى» قلت: فكيف يصنع بأولئك؟ قال: «**يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان**»[1].

وذكر ابن أبي الدنيا حديثا مرسلا أن الأرض تزلزلت على عهد رسول الله ﷺ فوضع يده عليها ثم قال: «**اسكني فإنه لم يأن لك بعد**». ثم التفت إلى أصحابه فقال: «**إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه**». ثم تزلزت بالناس على عهد عمر بن الخطاب فقال: أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا عن شيء أحدثتموه، والذي نفسي بيده إن عادت لا أساكنكم فيها أبدا[2].

وذكر ابن أبي الدنيا أيضا عن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أنه دخل على عائشة هو ورجل فقال: يا أم المؤمنين، حدثينا عن الزلزلة؟ فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمور، وضربوا بالمعازف غار الله ـ عز وجل ـ في سمائه فقال للأرض: تزلزلي بهم؛ فإن تابوا ونزعوا وإلا أهدمها عليهم. قال: يا أم المؤمنين أعذابا لهم؟ قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمنين، ونكال وعذاب وسخط[3] على الكافرين. فقال أنس: ما سمعت حديثا بعد رسول الله ﷺ أنا أشد فرحا مني بهذا الحديث[4].

ومنها: تسلط الظلمة؛ عن أبي الدرداء ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ أن الله ـ عز وجل ـ يقول: «**أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدي، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة وإن العباد إذا عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا**

(1) أخرجه أحمد (6/ 304، رقم 26638).

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (18).

(3) السخط: الغضب أو كراهية الشيء وعدم الرضا به.

(4) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (17).

تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالدعاء والتضرع إلي أكفكم ملوككم» [1].

وعن الحسن ـ رَحِمَهُ الله ـ عن النبي ﷺ : «**لا تزال هذه الأمة تحت يد الله تعالى وفي كنفه ما لم يمار قراؤها أمراءها وما لم يزك صلحاؤها فجارها**[2] وما لم يهن خيارها شرارها فإذا هم فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فسامهوم سوء العذاب ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر» [3].

قال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم، وإذا سخط على قوم ولى أمرهم شرارهم.

وفي بعض الكتب المنزلة : أن الله ـ عز وجل ـ يقول : إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني [4].

ومنها : أنها تمنع إجابة الدعاء روي أن إبراهيم بن أدهم مر بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا يا أبا إسحاق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال لأن قلوبكم ميتة بعشرة أشياء الأول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم أنكم تحبون الله ورسوله فتركتم سنته الثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به الرابع أكلتم نعم الله عز وجل فلم تؤدوا شكرها الخامس قلتم إن الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها السابع قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

(1) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (9/ 9، رقم 8962).

(2) الفجار : جمع فاجر، وهو الفاسق غير المكترث.

(3) ذكره الماورديفي أدب الدنيا والدين، ص 97.

(4) حلية الأولياء 8/ 91.

ومنها : أنها تزيل النعم وتحل النقم قال علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة وقد قال الله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1] أي يغيروا طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره وأسباب رضاه بأسباب سخطه فإذا غيروا غير بهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فإن غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز وقد قال الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[2].

وفي بعض الآثار الإلهية عن الرب تبارك وتعالى أنه قال وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ثم ينتقل عنه إلى ما أكره إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره ثم ينتقل عنه إلى ما أحب إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب .

وقد أحسن القائل :

إِذا كُنتَ في نِعمَةٍ فَارعَها	فَإِنَّ الذنوب تُزيلُ النِعَم
وحطها بطاعة رب العباد	فرب العباد سَريعُ النِّقَم
وإياك والظلم مهما استطعت	فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى	لتبصر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم	شهود عليهم ولا تتهم
وما كان شيء عليهم أضر	من الظم فهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن	قصور وأجرى عليهم أطم
صلوا بالجحيم وفات النعيم	وكان الذي نالهم كالحلم

❊ ❊ ❊

(1) سورة الأنفال ، الآية : 53.

(2) سورة الرعد ، الآية : 11.

قصة إهلاك قوم نوح بالغرق

لما عصوا ربهم وكفروا به وكذبوا نبيهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾[1]. قيل: إن نوحا عليه السلام اسمه عبد الغفار قال ابن عباس وسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه، واختلفوا في سبب نوحه قيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مر بكلب مجذوم فقال يا قبيح فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب.

قال ابن عباس: بعث نوح وهو ابن أربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الحديث، وكان عمره ألفا وخمسين سنة. قيل: وهو أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عذب أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الأرض بدعائه، وكان أطول الأنبياء عمرا وجعلت معجزاته في نفسه لأنه عمر ألف سنة، فلم ينقص له سن ولم تشب له شعرة ولم تنقص له قوة.

وقال أبو الليث السمرقندي: وكان أول من أمر بنسخ الأحكام وأمر بالشرائع، وكان قبله نكاح الأخت مباحا فحرم ذلك على عهده، فكذبه قومه فأرسل الله تعالى عليهم الطوفان.

وروى الضحاك عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ أن قوم نوح كانوا

(1) سورة العنكبوت، الآيتان: 14، 15.

يضربونه حتى يسقط ويظنون أنه قد مات، فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى. روي أن شيخا منهم جاء يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال: يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون. فقال: يا أبت مكني من العصا فأخذها من أبيه فضرب نوحا فشجه شجة منكرة فأوحى الله إليه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾. أي: فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1] فإني مهلكهم ومنقذك منهم فحينئذ دعا نوح عليهم فقال نوح ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[2].

وحكى محمد بن إسحاق عن عبيد بن عمير الليثي أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به ويخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال رب اغفر لي ولقومي فإنهم لا يعلمون حتى إذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث ممن قبله حتى إذا كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا فشكا إلى الله عز وجل فقال ﴿رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[3] حتى قال ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[4] فأوحى الله إليه أن اصنع الفلك قال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ اتخذ نوح السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون وطولها في السماء ثلاثون وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في الأول الوحوش والسباع والهوام وفي الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن إلا على مع ما يحتاج إليه من الزاد عن كعب الأحبار أنه عمل السفينة في ثلاثين سنة وفي القصة أن الله تعالى لما أمره أن يحمل

(1) سورة هود، الآية: 36.

(2) سورة نوح، الآية: 26.

(3) سورة نوح، الآية: 5.

(4) سورة نوح، الآية: 26.

من كل زوجين اثنين قال يا رب كيف أحمل من كل زوجين فحشر الله إليه السباع والطير فجعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في يده اليسرى فحملهما في السفينة وروي أنه لما كثرت أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فلما وقع الفأر في جوف السفينة يقرضها وحبالها فأوحى الله إليه أن اضرب بين عيني الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر.

وحكي أن نوحا عليه السلام قال للسباع: لا يجامع أحدكم صاحبته حتى يخرج من السفينة لئلا تتوالدوا فتضيق عليكم السفينة، فامتنعت إلا الكلب فجاءت الهرة فأخبرت نوحا بذلك فأنكر الكلب فقالت الهرة لنوح: ادع الله أن يظهر حالهما فدعا نوح ربه بذلك، ثم إن الكلب جامع مرة أخرى، فعلق في صاحبته فجاءت الهرة فأخربت نوحا بذلك فرآهما فقال الكلب: إلهي افضح الهرة عند الجماع على رءوس الخلائق كما فضحتنا، فمن ثم إن السنانير إذا جامعت إناثها أخذها الصياح.

قال قتادة وابن جريج والقرطبي ومحمد بن كعب القرظي: لم يكن في السفينة إلا ثمانية نفر: نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث ونساؤهم. وقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين نصفهم نساء.

قال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ: أول ما حمل نوح الذرة، وآخر ما حمل الحمار، ولما دخل صدره تعلق إبليس بذنبه فلم تستقل رجلاه، فجعل نوح يقول: ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح: ويلك ادخل وإن كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه، فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله، فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح: ما أدخلك علي يا عدو الله؟ قال: أفلم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك؟ قال: اخرج عني يا عدو الله. قال: ما لك

بد من أن تحملني معك، فكان فيما يزعمون من ظهر الفلك.

قال الحسن: لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد ويبيض فأما ما يتولد من الطير من حشرات الأرض والبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا.

وحكى القرطبي في تفسيره عن زيد بن ثابت أنه قال: استعصمت على نوح الماعزة أن تدخل السفينة فدفعها في ذنبها، فمن ثم انكسر ذنبها فصار معقوفا وبدا حياها، ومضت النعجة حتى دخلت فمسح على ذنبها فستر على حياها.

وروي عن بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا: احملنا. فقال: إنكما سبب الضرر والبلاء فلا أحملكما. قالتا: احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قال حين خاف مضرتهما: سلام على نوح في العالمين. لم تضراه.

روي أن الماء علا على رءوس الجبال مقدار أربعين ذراعا، وروي أنه لما كثر الماء في السكك خشيت أم صبي وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبي بيدها حتى ذهب بهما الماء، فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي.

ويروى أنه لما استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بأرض الجزيرة قرب الموصل بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض، فوقف على جيفة فلم يرجع فبعث حمامة فجاءت بورقة زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين، فعلم نوح أن الماء قد نضب فقيل: إنه دعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت فطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان فمن ثم تألف البيوت.

وروي أن نوحا ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه وهبطوا يوم عاشرواء فصام نوح وأمر جميع من معه بالصوم شكرا لله تعالى وقيل

ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج ابن عنق كان الماء إلى حجزته وكان سبب نجاته أن نوحا احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقلها فحملها عوج إليه من الشام فنجاه الله من الغرق لذلك قيل كان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ثم يأكله وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه الصلاة والسلام وذلك أنه قور صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله عز وجل الهدهد فقور الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فأقبل موسى وهو مصروع فقتله وكانت أمه عنق إحدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الأرض والله أعلم.

وروى أبو الفرج بن الجوزي ـ رَحِمَهُ الله تعالى ـ بسنده عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن النبي ﷺ قال: «**ولد لنوح عليه السلام ثلاثة: سام وحام ويافث؛ فأما سام فأبو العرب وفارس والروم، وأما يافث فأبو يأجوج ومأجوج، وأما حام فأبو هذه الجلدة السوداء**»[1].

قال أبو الفرج: الظاهر في الألوان أنها خلقت على ما هي عليه من غير سبب ظاهر إلا أنه قد روينا أن أولاد نوح اقتسموا الأرض بعد موت نوح فكان الذي قسم بينهم الأرض فالغ بن عابر فنزل بنو سام سرة الأرض فكان فيهم الإدامة والبياض ونزلت بنو يافث مجرى الشمال والصبا فكانت فيهم الحمرة والشقرة ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور فتغيرت ألوانها، وما يروى أن نوحا انكشفت عورته فلم يغطها حام فدعا عليه فاسود فشيء لا يثبت ولا يصح.

وروى الأصمعي عن النمر بن هلال أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ فاثنا عشر ألفا للسودان وثمانية للروم وثلاثة للفرس وألف للعرب.

(1) تفسير اللباب 11/ 487.

الباب الرابع

في التحذير من عدو الله إبليس اللعين

قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [1]. وقد أخبرنا الله عنه بأنه قال ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. أي: لأجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الإسلام ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [2].

قال ابن عباس: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾. أي: من قبل الآخرة فأشككهم فيها ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أرغبهم في دنياهم ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أشبه عليهم أمر دينهم ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ أشهي لهم المعاصي. قال قتادة: أتاك يا ابن آدم من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقوله ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾. أي: مؤمنين.

فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟

قيل: قاله ظنا فأصاب؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [3]. وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [4]. قال ابن عباس: قبيله ولده.

(1) سورة البقرة، الآية: 268.

(2) سورة الأعراف، الآيتان: 16، 17.

(3) سورة سبأ، الآية: 20.

(4) سورة الأعراف، الآية: 27.

وقال مالك بن دينار: إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [1]: ما من عبد إلا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه.

وقال كعب الأحبار لو أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن.

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك، للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب، ولو وكل الإنسان إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين**» [2].

وقال مطرف: أنصح عباد الله تعالى للمؤمنين الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين [3].

عن جابر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل إذا أوى إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فقال الملك اللهم اختم بخير وقال الشيطان اللهم اختم بشر فإذا ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك يكلؤه**» [4].

وقال قتادة: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا ذكر

(1) سورة الرعد، الآية: 11.

(2) أخرجه الطبراني (8/ 167، رقم 7704)، قال الهيثمي (209/7): فيه عفير بن معدان وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا: الديلمي في الفردوس (4/ 384، رقم 7117).

(3) حلية الأولياء 2/ 208.

(4) أخرجه النسائى فى الكبرى (6/ 213، رقم 10689).

العبد ربه خنس.

ويقال: رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدث، فإذا ذكر العبد ربه خنس وإذا لم يذكر رجع ووضع رأسه فذلك قوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾[1] بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع[2].

وروى عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان على صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله خنس.

قال عبد الله بن مسعود: قعد قوم يذكرون الله تعالى، فأتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع، فأتى رفقة يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم، فقاموا وليس إياهم يريد، فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم يفصلون بينهم، ففرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان.

قال الغزالي ـ رَحِمَهُ الله ـ: مثال الشيطان مثال كلب جائع يقرب منك، فإن لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بأن تقول له: اخسأ. فمجرد الصوت يدفعه، وإن كان بين يديك لحم وهو جائع يهجم على اللحم ولم يندفع بالكلام، فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر، فأما الشهوات إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب، فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب، وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا بالشهوات بل بالغفلة بخلوها عن الذكر،

(1) سورة الناس، الآية: 5.

(2) حلية الأولياء 6/ 123.

فإذا ذكر خنس الشيطان، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[1] وسائر الآيات والأخبار الواردة في الذكر[2].

وروى عن أبي أمامة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيما، فاجعل لي بيتا. قال: الحمام. قال: فاجعل لي مجلسا. قال: الأسواق ومجامع الطرق. قال: فاجعل لي طعاما. قال: ما لا يذكر اسم الله عليه. قال: اجعل لي شرابا. قال: كل مسكر. قال: اجعل لي مؤذنا. قال: المزامير. قال: اجعل لي قرآنا. قال: الشعر. قال: اجعل لي كتابا. قال: الوشم. قال: اجعل لي حديثا. قال: الكذب. قال: اجعل لي مصائد. قال: النساء**»[3].

قال جابر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئا، ثم يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئا. ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه فيقول نعم أنت»[4].

قال الأعمش: أراه قال: فليتزمه.

وقال وهب بن منبه: قال إبليس: يا رب، أما ترى حب عبادك لك وكثرة عصيانهم لك، وبغضهم لي وكثرة طاعتهم لي. فأوحى الله إلى الملائكة أني قد

(1) سورة الأعراف، الآية: 200.

(2) إحياء علوم الدين 2/ 239.

(3) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان (ص 63، رقم 43) والطبراني (8/ 207، رقم 7837).

(4) أخرجه مسلم (4/ 2167، رقم 2813)، وأحمد (3/ 314، رقم 14417)، وعبد بن حميد (ص 316، رقم 1033)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 415، رقم 8721).

غفرت لهم كثرة عصيانهم لي بحبهم لي، وتجاوزت عن كثرة طاعتهم له ببغضهم له.

وروي أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا وعليه معاليق فقال: ما هذه؟ قال: الشهوات التي أصطاد بها بني آدم. فقال: هل تجد لي فيها شيئا؟ قال: لا، غير أنك شبعت ليلة فثقلت عن الصلاة والذكر. فقال يحيى: لا جرم أني لا أشبع أبدا. فقال إبليس: لا جرم أني لا أنصح أحدا أبدا.

وقال وهب بن منبه: إن إبليس لقي يحيى عليه السلام فقال له: أخبرني عن طبائع بني آدم عندكم؟ فقال: صنف منهم مثلك معصوم لا نقدر على شيء منهم، وصنف ثان هم في الدنيا كالكرة في أيدي الصبيان، وقد كفونا أنفسهم، وصنف ثالث هم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا، ثم يفزع إلى الاستغفار فيفسد علينا عملنا وما أدركنا منه، فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه ما نريد.

قال كعب الأحبار: ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالأكلة في جنب بني آدم. وقال أيضا: حصون المؤمن من الشيطان ثلاثة؛ ذكر الله، وقراءة القرآن، والمسجد.

وكان يحيى بن معاذ يقول: اللهم إن إبليس لك عدو ولنا عدو، وإنك لا تغيظه بشيء أنكى له من عفوك عنا، فاعف عنا يا أرحم الراحمين.

وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح: اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، فآيسه منا كما آيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من رحمتك وعفوك، وأبعد بيننا وبينه كما أبعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شيء قدير. فتمثل له اللعين يوما في طريق المسجد فقال له: يا ابن واسع، هل تعرفني؟ قال له: ومن

أنت؟ قال : هو اللعين . قال : وما تريد؟ قال : أريد ألا تُعلم أحدا الاستعاذة ولا أتعرض لك أبدا . فقال ابن واسع : والله لا أمنعها من أراد ، فاصنع الآن ما شئت .

ومن دعاء بعضهم : اللهم إنك خلقتني وخلقته وسلطته علي فلا يقدر علي إلا بتقديرك ، ولا أقدر عليه إلا بإعانتك ، فأعني عليه يا عزيز يا جبار بعزتك وجبروتك . وقال قتادة ومجاهد والحسن في قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[1] إن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء قالوا إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنسان وهو شيطان الإنس فأغواه بالمؤمن ليفتنه ، يدل عليه ما روي عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «**هل تعوذت بالله من شيطان الإنس والجن؟**» فقلت : يا رسول الله ، وهل للإنسان من شياطين؟ قال : «**نعم ، هو شر من شياطين الجن**»[2].

وقال مالك بن دينار : شياطين الإنس أشد من شياطين الجن ، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شياطين الجن وشيطان الإنس يجيء ويجرني إلى المعاصي .

❊ ❊ ❊

(1) سورة الأنعام ، الآية : 112.

(2) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (1979) .

فصل في

بيان أصل إبليس وزوجته وذريته وأصناف الجن

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ .

قال ابن عباس : من حي من الملائكة يقال لهم : الجن ، خلقوا من نار السموم .

وقال الحسن : كان من الجن ، ولم يكن من الملائكة ، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس ﴿فَفَسَقَ﴾ أي : خرج ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ عن طاعة ربه ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ يعني يا بني آدم ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ﴾[1] أي : أعداء .

وروى مجاهد عن الشعبي قال : إني لقاعد يوما إذ أقبل جمال ، فقال : أخبروني هل لإبليس زوجة؟ قلت : إن ذلك لعرس ما شهدته ، ثم ذكرت قوله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ . فعلمت أنه لا يكون ذرية إلا من زوجة فقلت : نعم[2].

وقال قتادة : يتوالدون كما تتوالد بنو آدم ، وقيل : إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين[3].

وقال ابن إسحاق : بلغني أن إبليس تزوج الحية التي دخل في جوفها حتى

(1) سورة الكهف ، الآية : 50.

(2) تفسير السراج المنير 5/ 88.

(3) تفسير الطبري 1/ 506.

كاد آدم ـ عليه السلام ـ بعدما أخرج من الجنة ومنها ذريته .

وقال مجاهد : في ذرية إبليس لافيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة ، والهفان ومرة ، وبه يكنى ، وزلنبور وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور ، وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة ومطوش وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يحسن موضعه فإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه قال الأعمش ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم أذكر داسم داسم [1].

روي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال : «**للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء**» [2].

وروى مسلم أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ قال : يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي! فقال رسول الله ﷺ : «**ذاك الشيطان يقال له : خنزب . فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثا**» [3]. ففعلت ذلك فأذهبه الله عني .

وقال يونس بن يزيد : بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ، ثم ينشئون معهم .

وقال جابر بن عبد الله : إن آدم عليه السلام لما هبط قال : يا رب ، هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ألا تعينني عليه لأقوى عليه ، قال : لا يولد

(1) الكشف والبيان للثعلبي 8/ 145.

(2) أخرجه الترمذى (1/ 85، رقم 57) ، وابن ماجه (1/ 146، رقم 421)

(3) أخرجه مسلم (4/ 1728، رقم 2203) .

لك ولد إلا وكل به ملك . قال : رب زدني . قال : أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلا ما أزيد . قال : رب زدني . قال : باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح . قال : إبليس يا رب هذا العبد كرمته علي ألا تعينني عليه لأقوى عليه . قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد . قال : يا رب زدني . قال : تجري منهم مجرى الدم وتتخذ صورهم بيوتا . قال : رب زدني . قال : ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ إلى قوله : ﴿غُرُورًا﴾ [1].

وعن أبي الدرداء ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**خلق الله تعالى الجن ثلاثة أصناف ؛ صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض ، وصنف كالريح في الهواء ، وصنف عليهم الحساب والعقاب ، وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم ؛ قال الله تعالى : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾**[2] الآية ، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم ، وأرواحهم أرواح الشياطين ، وصنف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله» [3].

(1) سورة الإسراء ، الآية : 64.

(2) سورة الأعراف ، الآية : 179.

(3) أخرجه الحكيم (205/1) ، وأبو الشيخ في العظمة (5/ 1639، رقم 10811) . والديلمي (2/ 189، رقم 2942) ، وابن أبى الدنيا في الهواتف (ص 99، رقم 156) .

قصة برصيصا[1]

روي عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ في قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ الآيتين[2] أنه كان راهب في الفترة يقال له : برصيصا . تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين ، وأن إبليس أعياه في أمره الحيل ، فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال : ألا أحدٌ منكم يكفيني برصيصا؟ فقال له الأبيض ـ وهو صاحب الأنبياء عليهم السلام وهو الذي قصد النبي ﷺ وجاءه في صورة جبرائيل عليه السلام ليوسوس إليه على وجه الوحي فدفعه جبرائيل عليه السلام إلى أقصى أرض الهند ـ فقال الأبيض لإبليس : أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا ، فناداه فلم يجبه وكان لا ينتقل من صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر في عشرة أيام إلا مرة ، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته ، فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهابين ، فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لم يجبه فقال له : إني كنت مشتغلا عنك فما حاجتك؟ فقال : حاجتي أني أحب أن أكون معك ، فأتأدب بك وأقتبس من علمك ، ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك . قال برصيصا : إني لفي شغل عنك فإن كنت مؤمنا فإن الله تعالى سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبا إن استجاب لي ، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوما ، فلما انفتل رآه قائما يصلي ، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له : ما حاجتك؟ قال : حاجتي

(1) تفسير الطبري (33/28) .

(2) سورة الحشر ، الآيتان : 16، 17.

أن تأذن لي فأرتفع إليك. فأذن له فارتفع إليه في صومعته، فأقام معه حولا يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوما، ولا ينفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يوما مرة، وربما مد إلى الثمانين، فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق فإن لي صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه، يشفي الله تعالى بها السقيم، ويعافي بها المبتلى والمجنون. قال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة؛ لأن لي في نفسي شغلا؛ فإني أخاف إن علم به الناس يشغلوني عن عبادة الله تعالى، فلم يزل به الأبيض حتى علمه، ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال: قد والله أهلكت الرجل. قال: وانطلق الأبيض فتعرض لرجل حتى خنقه، ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لأهله: أبصاحبكم جنون فأعالجه؟ قالوا: نعم. فقال لهم: إني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله لكم فيعافيه، انطلقوا إلى برصيصا فإن عنده الاسم الذي إذا دعا الله به أجاب، فانطلقوا إليه فسألوه عن ذلك فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنه الشيطان، وكان الأبيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو فيعافون، فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل بين ثلاث أخوات، وكان أبوهم ملكهم فمات واستخلف أخاه، فكان عمها ملك بني إسرائيل فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم في صورة رجل متطبب فقال لهم: أفاعالجها؟ قالوا: نعم. قال: إن الذي عرض عليها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده فإذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت فتردونها صحيحة. قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا. قالوا: كيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك؟ قال: ابنوا لها صومعة إلى

جانب صومعته حتى تشرفوا عليه ؛ فإن قبلها وإلا تضعونها في صومعته ، ثم قولوا له : هي أمانة عندك فاحتسب فيها . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فأبى عليهم ، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية في صومعته وقالوا له : هذه أختنا فاحتسب الله تعالى فيها ، ثم انصرفوا ، فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال ، فسقط في يده ودخل عليه أمر عظيم ، فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ، ثم أقبل على صلاته ، ثم جاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها ، فجاء الشيطان وقال : واقعها وتتوب بعد ذلك ويتم لك ما تريد من الأمر ، فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها ، فقال له الشيطان : ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب ؛ فإن سألوك فقل ذهب بها شيطانها ولم أقو عليه ، فدخل فقتلها ودفنها في جانب الجبل ، فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها خارجا من الترب ، ثم رجع برصيصا إلى صومعته فأقبل على صلاته ؛ إذ جاء إخوتها يتعهدون أختهم ، وكانوا يجيئون فارط الأيام يسألونه عنها ويوصونه بها قالوا : يا برصيصا ، ما فعلت بأختنا؟ قال : قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا ، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه فقال : ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا . فقال الأخ : هذا حلم من عمل الشيطان وبرصيصا خير من ذلك . قال : فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث ، فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط له مثل ما قال الأكبر ، ولم يخبر به أحدا ، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لإخوته : والله لقد رأيت كذا وكذا . فقال الأوسط : وأنا والله لقد رأيت مثله . وقال الأكبر : وأنا والله رأيت مثله . فانطلقوا إلى برصيصا وقالوا : يا برصيصا ما فعلت بأختنا؟ فقال : أليس قد أعلمتكم بحالها؟ فكأنكم تتهموني! قالوا : والله لا نتهمك

واستحيوا منه وانصرفوا، فجاءهم الشيطان وقال: ويحكم إنها المدفونة في موضع كذا وكذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في النوم، فمشوا إلى مواليهم وغلمانهم ومعهم الفئوس والمساحي فهدموا صومعته، وأنزلوه ثم كتفوه وانطلقوا به إلى الملك، فأقر على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال له: تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف، فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه الأبيض فقال: يا برصيصا أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فأستجيب لك، ويلك أما اتقيت الله في الأمانة خنت أهلها، وإنك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل ما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال في آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس؛ فإن مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك. قال: فكيف أصنع؟ قال: تعطيني خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه وآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك. قال: وما هي؟ قال: تسجد لي. قال: أفعل. فسجد له، قال: يا برصيصا هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك إني بريئ منك إني أخاف الله رب العالمين، يقول الله ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[1].

❊ ❊ ❊

(1) سورة الحشر، الآية: 17.

باب النهي عن السحر

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [1].

وفي **الصحيحين** عن النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» [2]. فذكر منها السحر.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر». رواه أحمد [3].

وعن ابن مسعود مرفوعا: «الرقى والتمائم والتولة شرك» [4]. رواه أحمد وأبو داود، والتولة نوع من السحر، وهو تحبب المرأة إلى زوجها، والتميمة خرزة ترد العين.

وقال بجالة بن عبدة: أتانا كتاب من عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة.

وقال مالك: السحر زندقة، وإذا قال الرجل أحسنه يقتل ولا تقبل توبته.

وعن أبي حنيفة مثله.

وقال أحمد: يقتل الساحر ولم يرو عنه في كفره شيء قاله ابن الملقن في **شرح المنهاج**.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 102.

(2) أخرجه البخارى (3/ 1017، رقم 2615)، ومسلم (1/ 92، رقم 89).

(3) أخرجه أحمد (4/ 399، رقم 19587).

(4) أخرجه أحمد (1/ 381، رقم 3615)، وأبو داود (4/ 9، رقم 3883)، وابن ماجه (2/ 1166، رقم 3530).

باب النهي عن إتيان الكهان والمنجمين والعراف

وعن عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ سئل رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: «**ليسوا بشيء**». فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحيانا بشيء فيكون حقا! فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة**». رواه البخاري ومسلم [1]، وفي رواية «**ينزل في العنان وهو السحاب فيذكر الأمر قضي في السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**» [2].

قال النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ قوله: «فيقرها». هذا بفتح الياء وضم القاف والراء، والعنان بفتح العين.

وقال ﷺ: «**من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما**». رواه مسلم [3].

وقال ﷺ: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد». رواه أبو داود [4].

قال قتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء؛ لتكون زينة السماء، ومعالم الطرق، ورجوما للشياطين، فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به.

وعن أبي مسعود البدري ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن. رواه البخاري ومسلم [5].

---

(1) البخاري (5762)، ومسلم (5952).

(2) أخرجه البخاري (3/ 1175، رقم 3038).

(3) مسلم (5957).

(4) أخرجه أبو داود (4/ 15، رقم 3905).

(5) تقدم تخريجه.

باب النهي عن تصوير الحيوان

قال رسول الله ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم**»[1].

وقال ﷺ: «**إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عند الله المصورون**»[2] رواهما البخاري ومسلم.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البخارى (5/ 2220، رقم 5607).

(2) أخرجه البخارى (5/ 2220، رقم 5606)، مسلم (3/ 1670، رقم 2109).

باب النهي عن شرب الخمر

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [1].

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن كل شراب مسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام يحد شاربه لقوله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة» [2].

وقال ﷺ: «إن من العنب خمرا وإن من التمر خمرا وإن من العسل خمرا وإن من البر خمرا وإن من الشعير خمرا» [3].

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ قال: خطب عمر رضي الله تعالى عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة أشياء: العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل، والخمر ما خامر العقل، وأما الميسر فهو القمار.

وقال طاوس وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، وأما الأنصاب فهي الأوثان، سميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها واحدها نصب والأزلام يعني: القداح التي كانوا يستقسمون بها واحدها زلم؛ قال رسول الله ﷺ: «**من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة**» [4].

---

(1) سورة المائدة، الآيات: 90 ـ 93.

(2) أخرجه مسلم (3/ 1588، رقم 2003).

(3) أخرجه أبو داود (3/ 326، رقم 3676).

(4) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (2/ 64، رقم 1177).

﴿رجس خبث من عمل الشيطان﴾ من تزيينه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أي : الرجس ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ قال : قتادة كان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الأهل والمال مغتاظا على حرفائه ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ . أي : انتهوا لفظه استفهام ومعناه الأمر تقديره انتهوا ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ وعلينا الانتقام .

قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية سبب نزولها أن الصحابة قالوا لما نزل تحريم الخمر يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وأكلوا من مال الميسر فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ أي شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر وروى أبو الليث السمرقندي ـ رَحِمَهُ الله ـ عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن السلمي قال شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقالوا هي لنا حلال لأن الله تعالى قال : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ فكتب فيهم إلى أمير المؤمنين عمر بذلك فكتب عمر أن ابعث بهم إلي فلما قدموا على عمر جمع لهم أصحاب رسول الله ﷺ فشاورهم في ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين افتروا على الله وشرعوا في دينهم ما لم يأذن فاضرب أعناقهم فإن تابوا فاضربهم ثمانين فاستتابهم فضربهم ثمانين جلدة وقوله تعالى ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ الشرك ﴿وَءَامَنُوا۟﴾ صدقوا ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ الخمر والميسر بعد تحريمها ﴿وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ ما حرم عليهم أكله ﴿وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

عن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «**بعثني الله تعالى هدى**

ورحمة للعالمين وبعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والأوثان ، وحلف ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي الخمر في الدنيا إلا حرمها الله عليه في الآخرة ، ولا يتركها عبد من عبيده إلا سقاه الله يوم القيامة إياها في حظيرة القدس» [1].

وعن ابن المنكدر أنه قال : يقول الله تعالى يوم القيامة : أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم في الدنيا عن اللهو ومزامير الشيطان؟ اجعلوهم في رياض المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم حمدي وثنائي ، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [2].

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [3].

وقال الحسن ـ رَحِمَهُ الله ـ الإثم هو الخمر ؛ قال لبيد [4]: [من الوافر]

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقول

وعن ابن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**كل مسكر حرام وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة**» . رواه مسلم [5].

وعن جابر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ : «**إن على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**» قيل : وما طينة الخبال؟ قال : «**عرق أهل النار**» أو قال : «**عصارة أهل النار**» . رواه مسلم [6].

(1) أخرجه عبد الرزاق (9/ 239، رقم 17072) .

(2) أخرجه ابن الجعد (1682) .

(3) سورة الأنعام ، الآية : 33.

(4) ديوانه ، ص 185.

(5) أخرجه مسلم (3/ 1588، رقم 2003) .

(6) مسلم (5335) .

وقال ﷺ: «**مدمن الخمر كعابد وثن إن مات لقي الله كعابد وثن**». رواه أحمد [1].

وقال أنس: لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة؛ عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري له.

وسأل طارق بن سويد النبي ﷺ عن الخمر فنهاه فقال: إنما أصنعها للدواء فقال: «**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**» [2].

وعن عمار بن ياسر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا؛ الديوث من الرجال، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر**». قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: «**الذي لا يبالي بمن دخل على أهله**». قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: «**التي تشبه بالرجال**». رواه الطبراني [3].

وعن أم أيمن[4] قالت: أوصى رسول الله ﷺ بعض أهله: «**لا تشرك شيئا**

(1) أحمد (2497)، وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (129/1)، والبيهقى فى شعب الإيمان (5/ 12، رقم 5597) بنحوه.

(2) أخرجه مسلم (3/ 1573، رقم 1984).

(3) أخرجه الطبرانى كما فى الترغيب والترهيب ومجمع الزوائد، قال المنذرى (77/3): رواته ليس فيهم مجروح. وقال (178/3): رواته لا أعلم فيهم مجروحا وشواهده كثيرة. وقال الهيثمى (327/4): فيه مساتير، وليس فيهم من قيل إنه ضعيف. وأخرجه أيضًا: البيهقى فى شعب الإيمان (7/ 412، رقم 10800)

(4) أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو، وهى حبشية أعتقها عبد الله أبو رسول الله ﷺ، وأسلمت قديمًا أول الإسلام وهاجرت إلى الحبشة وإلى المدينة، وبايعت رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يقول: «أم أيمن أمى بعد أمى» وكان ﷺ يزورها فى بيتها. ابن عبد البر: الاستيعاب 4/ 1793، وابن الأثير: أسد الغابة 7/ 303.

وإن عذبت وحرقت ، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه ، ولا تترك صلاة مكتوبة عمدا فإنه من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه ذمة الله ، وإياك والخمر فإنها مفتاح كل شر ، وإياك والمعصية فإنها موجبة لسخط الله ، ولا تغلل ولا تفر يوم الزحف وإن هلكت وفر أصحابك ، وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت ولا تنازع الأمر أهله وإن رأيت أنه لك ، وأنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم فى الله» [1].

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البيهقى (7/ 304، رقم 14554) ، وفى شعب الإيمان (6/ 188، رقم 7865) ، وابن عساكر (199/60) ، وعبد بن حميد (ص 462، رقم 1594) .

فصل في آفات شرب الخمر

قال الفقيه أبو الليث ـ رَحِمَهُ الله ـ : إياك وشرب الخمر فإن في شربها عشر خصال مذمومة :

أولها إذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون فيصير مضحكة الصبيان ومذموما عند العقلاء، كما ذكر عن أبي الدنيا أنه قال : رأيت سكران في بعض سكك بغداد يبول ويتمسح بثوبه ويقول : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، وذكر أن سكرانا قاء في بعض طريق، وجاء كلب يلحس فمه وهو يقول : يا سيدي يا سيدي .

الثاني : أنها مُذْهِبةٌ للعقل مُتْلِفَةٌ للمال، كما قال عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : اللهم أرنا رأيك في الخمر ؛ فإنها متلفة للمال ومذهبة للعقل، وقد ورد في فضل العقل أحاديث منها أنه ﷺ قال : «**أول ما خلق الله تعالى العقل ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب**» [1].

وقال عليه الصلاة والسلام : «**إن الأحمق ليصيبن بحمقه أعظم من فجور الفاجر بفجوره وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم**» [2].

وعن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : ما اكتسب رجل مثل فضل علم يهدي به صاحبه إلى الهدى، ويرده عن الردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى

(1) أخرجه الطبراني (8/ 283، رقم 8086) ، وأبو نعيم فى الحلية (318/7) ، والديلمى (1/ 13، رقم 4) .
(2) ذكره الحكيم (357/2) وأخرجه أيضًا : الحارث كما فى بغية الباحث (802/2 رقم 814) قال العجلوني (553/2) : قال الحافظ ابن حجر : حديث موضوع .

يكمل عقله .

وقال عليه الصلاة والسلام : «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[1]. ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله ، فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس .

والثالث : أن شربها سبب للعداوة بين الإخوان والأصدقاء ، كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[2]. وهو القمار .

والرابع : أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة ، كما قال الله تعالى : ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[3]. يعني : انتهوا عنها ، فلما نزلت هذه الآية قال عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : قد انتهينا يا رب .

والخامس : أن شربها يحمله على الزنا ؛ لأنه إذا شرب ربما يطلق امرأته ولا يشعر ، وروي عن بعض الصحابة أنه قال : من زوج كريمته من شارب الخمر ، فكأنما ساقها إلى الزنا ، ومعناه : أن شارب الخمر إذا سكر كثر كلامه ، فربما يجري الطلاق على لسانه فيطلق امرأته ، فتحرم وهو لا يشعر .

والسادس : أنها مفتاح كل شر ؛ لأنه إذا شرب الخمر يسهل عليه جميع المعاصي .

والسابع : أنه يؤذي الفظة بإدخالهم في مجلس الفسق ويوجد الرائحة المنتنة منه ، فلا ينبغي أن يؤذي من لا يؤذيه .

والثامن : أنه أوجب على نفسه الجلد ثمانين جلدة فإن لم يضرب في الدنيا ؛

(1) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (289/8) .

(2) سورة المائدة ، الآية : 91.

(3) سورة المائدة ، الآية : 91.

فإنه يضرب في الآخرة بسياط من نار على رءوس الناس ينظر إليه الآباء والأصدقاء.

والتاسع: أنه رد باب السماء على نفسه لا ترفع حسناته ولا دعاؤه أربعين يوما.

والعاشر: أنه مخاطر بنفسه؛ لأنه يخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند موته فهذه العقوبات في الدنيا قبل أن ينتهي إلى عقوبات الآخرة، وأما العقوبات التي هي في الآخرة فإنها لا تحصى من شرب الحميم والزقوم وفوت الثواب فلا ينبغي للعاقل أن يختار لذة قليلة ويترك لذة طويلة كثيرة.

❊ ❊ ❊

فصل

ما يزيل العقل من غير الأشربة كالبنج حرام لكن لا حد في تناوله، قال الماوردي ـ كما نقله الرافعي عنه في كتاب الأطعمة ـ : والنبات الذي يسكر وليس فيه شدة مطربة يحرم أكله ولا حد في أكله، ويجوز استعماله في الدواء وإن أفضى إلى السكر إذا لم يكن عنه بد.

وعن القرافي المالكي أنه قال في **كتاب الذخيرة** يجب على آكل الحشيشة الحد والتعزير، أما الحد فبالقياس على الخمر، وأما التعزير فلما ارتكب من الأمور القبيحة، قال بعض : المتأخرين، وهذه التعيسة أول ما بلغنا أنها ظهرت في أواخر المائة السادسة، وأوائل السابعة أي : أول ما ظهرت الحشيشة في بلاد الشام في أيام التنار حين ظهرت دولة التتار، فكان ظهورها مع ظهور سيف جنكز خان، وهي من أعظم المنكرات وشر من الشراب من بعض الوجوه فتورث التخنث والدنية وتفسد المزاج فتجعل الكبد كالسفنجة وتوجب كثرة الأكل والجنون، وهي تورث نشوة ولذة وطربا كالخمر والمعتاد لها يصعب عليه الفطام عنها أكثر من الخمر نسأل الله تعالى المعافاة من كل بلاء ذكر هذا الفصل جميعه ابن الملقن ـ رَحِمَهُ الله ـ في **شرح المنهاج**.

❊ ❊ ❊